ملاحظات حول حياة إبن تومرت

من خلال النصوص التاريخية والوثائق الأثرية

سرحان حليم

أستاذ مساعد "أ" قسم التاريخ-جامعة المسيلة

مقدمة:

ظلت الحياة السياسية في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي رتيبة لا حراك فيها، حتى ظهر رجل من قبيلة مصمودة ادعى العلم والمهدوية معا، فلا مراء أنه قلب الأوضاع السائدة رأسا على عقب ونفث فيها من روحه الوقادة بخروجه على المرابطين في إقليم السوس بالمغرب الأقصى، زاعما أنه بعث ليقيم العدل في الأرض بعدما ملئت جورا، و يحارب القوم الذين استزلهم الشيطان، و غضب عليهم الرحمان، الفئة الباغية، و الشرذمة الطاغية اللمتونية. فضلا على أن المنجمين بشروا بقدومه، ونعتوه بأنه صاحب الدرهم المربع، فمن يكون؟

يذهب لسان الدين ابن الخطيب إلى أن صاحب الدرهم المربع هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود ابن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحي بن عطار بن رباح بن أصار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1] ، المعروف بابن تومرت، وقد أطلق عليه هذا الإسم لأن أمه عند ولادته ومن شدة فرحتها به شرعت تكرر بلسان بربري فصيح لا غبار عليه عبارة :"آتومرت آينو إيسك آييوي" ومعناها :"أنت فرحتي يا صغيري"، وكلما كانوا يسألونها عن الطفل كانت ترد عليهم :"يك تومرت" ،"هو فرحتي[2]" ،كما كان يطلق عليه إسم أمغار، ولما أصبح يافعا لقب بأسافو

---

[1] وهناك من ذهب إلى القول بأنه يدعى محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى للتوسع أنظر: أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق: **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، المملكة المغربية،1971.، ص ص،12-13.، وانظر:لسان الدين ابن الخطيب : **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تحقيق سيد كسروي حسن، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص، 398.، وانظر: علي بن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط، 1972.،ص،172.، وانظر: أحمد عزاوي: **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، القسم الأول، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، المملكة المغربية،1995.، ص، 43.، وانظر: صالح يوسف بن قربة: **أبحاث و دراسات في تاريخ و آثار المغرب الإسلامي و حضارته**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص، 105.، وانظر: عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005.، ص، 155.

[2] أمبروسيو هويثي ميراندا: **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية**، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، النجاح الجديدة، الدرا البيضاء، المملكة المغربية، 2004، ص، 31.

كناية عن كثرة ما كان يشعل من المصابيح، و المسارج بالمساجد لملازمتها و العكوف فيها مسايرة لقول إبن خلدون[3]. يرجع أصله الى قبيلة هرغة إحدى بطون قبائل مصمودة القاطنة بجنوب المغرب الأقصى بإقليم السوس من قوم يعرفون بإيسرغينن وهم الشرفاء بلسان المصامدة[4]. ويذكر صاحب كتاب مفاخر البربر أن جده دخل المغرب مع الفاتح عقبة بن نافع الفهري في بداية دولة يزيد بن معاوية.[5] وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ولادته، وتضاربت آراؤهم في ذلك حتى إختلط هذا الأمر على الدارسين، غير أن رشيد بورويبة رجح أنه ولد في الفترة ما بين (468- 473هـ/ 1076- 1080م) وهو محق في نظري اعتبارا أن رحلته في طلب العلم إلى المشرق بدأت بجوازه إلى الأندلس في حدود سنة(500-501هـ/1106-1107م)[6]، وسنه يومئذ تؤهله دون ريب لذلك، حيث استقر به المقام لبعض الوقت في مدينة قرطبة حاضرة العلم وقتذاك، حيث تتلمذ على خيرة العلماء هنالك خاصة القاضي أبي علي ابن حمدين.[7] كما درس المذهب الظاهري و تعمق فيه على يد أحد تلامذة ابن حزم واستوعب هذا المذهب الذي يرفض التقليد والإنسياق الأعمى وراء ما تحتويه كتب الفقه ويدعو في المقابل إلى الرجوع صراحة إلى النص القرآني، ثم أخذ بعد ذلك بالعقيدة الأشعرية شأن بعض المتعطشين من أترابه إلى اكتساب المعارف في ذلك الزمن.[8] وعندما نهل من ينبوع علمي عريض انتقل إلى المرية ومنها ركب

---

[3] ابن خلدون :**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت، ص ص، 464-467.

[4] المصامدة: ومصمودة أقدم قبيلة بربرية مستقرة بالمغرب للتوسع أنظر:ابن صاحب الصلاة: **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الوهاب التازي، دار الأندلس ، بيروت، لبنان، 1964، ص، 273.، وانظر: عثمان الكعاك: **البربر**، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر،2010.، ص ص،101-102.، وانظر: بوزياني الدراجي: **القبائل الأمازيغية، أدوارها، مواطنها، أعيانها**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2000.، ص ص،175-254 .

[5] مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقارق للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 2005.، ص، 198.

[6] : Bourouiba Rachid : **IBN TUMART**, 2éme édition,S.N.E.D.,Alger,1982.p.11.voir

أبي محمد حسن ابن القطان المراكشي: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق، محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991.، ص،61.

[7] البيذق: **كتاب أخبار المهدي ابن تومرت**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986.، ص، 29.، وانظر: روجر لي تورنو: **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر**، تعريب أمين الطيبي، مطبعة المدارس، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1998.، ص ص، 11-20.

[8] أمبروسيوهويثي ميراندا:المرجع السابق,ص ص, 37-38.

البحر إلى الإسكندرية وأخذ العلم بها على أبي بكر الطرطوشي الذي تخرج على يديه نخبة من أعلام المغرب ومنهم الأديب إبن الجنان الذي ذكره الغبريني في مؤلفه .[9]

إن بن تومرت أدى مناسك الحج بعدها ثم عرج على العراق ومكث مدة في بغداد فلقي أبا حامد الغزالي النابغة المعروف وتتلمذ عليه حتى حفظ الحديث وكلف بعلم أصول الدين، وقد أخبرنا صاحب كتاب الحلل الموشية أنه عندما دخل على أستاذه هذا كان كث اللحية ويعتمر على رأسه كرزية صوف.[10] ويذكر في هذا الصدد أن أبا حامد الغزالي تفرس فيه ما سوف يؤل إليه أمره لاحقا ، وذلك بعدما سمع أن الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين قام بإحراق مؤلفاته جميعا بما فيها إحياء علوم الدين قائلا و الغضب باديا على وجهه:"ليذهبن عن قليل ملكه، وليقتلن ولده، وما أحسب المتولي لذلك إلا حاضرا مجلسنا"، وكان ابن تومرت حاضر ذلك المجلس.[11] ولما أصبح صاحبنا بحرا منفجرا من العلم قفل راجعا الى بلاد المغرب كما قدمه ابن خلدون.[12] وذلك في حدود سنة(510 هـ/1116م)[13] ، حيث حط الرحال بطرابلس ثم بالمهدية، و تونس وكان يقيم بكل مدينة يمر بها برهة من الزمن قد تبلغ أحيانا بعض الأشهر،[14]ملزما نفسه هنالك بتدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان إستناده في دعوته الإصلاحية تلك على الآية الكريمة:"**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**"، والتي توضح الصفات التي يجب أن يكون عليها المسلم الحقيقي في كل زمان ومكان، فضلا عن إيمانه العميق بأرائه التي ضمنها كتابه أعز ما يطلب وطبقها في أرض الواقع، حتى قام بكسر دنان الخمر وتخريب آلات اللهو والطرب دون هوادة أو وجل ما استطاع إلى ذلك سبيلا. ولما قر رأيه على الرحيل خرج من تونس قاصدا قسنطينة بمعية يوسف الدكالي والحاج عبد الرحمان وأبوبكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق الذي دون سيرة ابن تومرت و قيام دولة الموحدين، وتم نزولهم بها عند الفقيه عبد الرحمان الميلي، ويحي بن القاسم وعبد العزيز محمد، وأميرها إذ ذاك ابن سبع بن العزيز الحمادي، وبقي مع صحبه بها لبعض الوقت، تلبية لرغبة الطلبة الذين كانوا يأتون يدرسون عليه، ثم دخل بجاية في الفترة (511-512هـ/1117-1118م) على عهد العزيز بن

---

[9] الغبريني:**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.، ص ص، 302-323.

[10] **مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه سهيل زكار و عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1979.، ص ،105.**

[11] المراكشي :**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005.، ص ،127 .

[12] ابن خلدون: المصدر السابق، ص، 467.

[13] Bourouiba Rachid : op.cit,.P.31.

[14] البيذق: المصدر السابق، ص،29.

المنصور الأمير الحمادي الثامن.[15] وكعادته أخذ يلقي الدروس، ويناظر العلماء ويقسو في نقد الحكام، ويقاوم الفساد بيده ويشذ في الإنكار على المخالفين للشرع الأمر الذي جعله يتعرض غيرما مرة للأذى والطرد، فخرج من المدينة على حين غفلة من سلطانها خائفا يترقب حتى وصل ملالة على بعد فرسخ من بجاية وبها آنئذ بنو ورياكل من قبائل صنهاجة الذين أووه ومنعوه من خصومه، وحاسديه، ومناوئيه.[16] وفي هذه الأثناء إتصل به عبد المؤمن بن علي الكومي الذي سيكون له شأن وأي شأن في قيام دولة الموحدين[17].

إن ابن تومرت غادر ملالة متجها نحو موطنه وبرفقته خمسة من أتباعه، وقد إصطحب معه من الونشريس عبد الله بن محسن المعروف بالبشير، ثم دخل المغرب من وجدة قادما إليها من تلمسان التي بقي بها فترة بمسجد العباد، جاريا على عادته كما قدمناه، وكان قد وضع له في النفوس هيبة وفي الصدور عظمة، و كثيرا ما يلقي في روع اتباعه و مريديه، أنه قادر على كشف المستور، حيث كان يقول لهم دون وجل:"لو شئت لعددت خلفاءكم خليفة خليفة" فزادت فتنة أتباعه به، وأظهروا له شدة الطاعة والولاء، فلا يراه أحد إلا هابه، وعظم أمره، وكان شديد الصمت كثير الإنقباض، إذا خرج من مجلس العلم لا يكاد يتفوه بكلمة قط، وفقا لما ذكره المراكشي.[18] وحين حل بمراكش وهي في يد علي بن يوسف بن تاشفين الذي تقلد الحكم بعد وفاة أبيه غرة محرم سنة (500هـ/1106م)[19] ، سار سيرته الأولى يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ولما كثر طلابه خرج من مراكش بعد أن أغلظ القول للأمير المرابطي ووبخ أخته الأميرة الصورة وهي تعبر الشارع في ملأ النساء السافرات، حيث نهرها لتبرجها وفرق موكبها وأسقطها من على صهوة جوادها، ولما أحس مالك بن وهيب قاضي مراكش حدة نفس

---

[15] عبد المجيد النجار:**المهدي بن تومرت حياته و آراؤه و ثورته الفكرية و الإجتماعية و أثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.،ص،146.، أنظر: بورويبة رشيد:"**إقامة ابن تومرت ببجاية وملالة** "، مجلة الأصالة، العدد، 19، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1974.، ص، 233.

[16] ابن خلدون :**المصدر السابق**، ص، 467.

[17] عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980.، ص ص، 218-219.

[18] المراكشي:**المصدر السابق**، ص،129.انظر: عبد الله علي علام:**الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.، ص، 69.

[19] أحمد بن عبد الوهاب النويري: **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط** (إفريقية و المغرب، الأندلس، صقلية و أقريطش)، **من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1985.، ص، 397.، وانظر: لسان الدين ابن الخطيب:**الإحاطة في أخبار غرناطة**، شرحه وضبطه وقدم له يوسف علي طويل.ج4، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2003.، ص، 44.، وانظر: لسان الدين بن الخطيب: **كتاب معيار الإختيار في ذكر المعاهد و الديار**، تحقيق و دراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.، ص، 161.

ابن تومرت، وتعنته من جهة وذكائه وإتساع فكره من جهة أخرى أشار على الأمير المرابطي بقتله قائلا له:"هذا رجل مفسد لا تؤمن غائلته ولا يسمع كلامه أحد من الدهماء أو من الكبراء إلا اتبعه وإن وقع هذا في بلاد المصامدة ثار علينا منه شر كبير" فضلا على أن بعض المنجمين في البلاد تنبأ منذ أيام بظهور ملك جديد في بلاد المغرب سوف يقوم بتغيير شكل السكة ولعله هو صاحب الدرهم المربع، فتوقف الأمير عن قتله فلما إستيأس مالك بن وهيب مما أراده من قتل ابن تومرت، أشار عليه بسجنه سجنا مؤبدا حتى يموت ويستريح منه الجميع، وقد رد عليه الأمير المرابطيي:"علام نأخذ رجلا من عامة المسلمين نسجنه حتى يهلك ولم يتعين لنا عليه حق"[20].

فنزل ابن تومرت ببلدة تينملل التي عرفها صاحب الإستبصار بمدينة البيضاء الحصينة في جبال الأطلس، التي لا يكون الصعود إليها إلا على مكان ضيق وعر المرتقى حتى أن الدواب لا تترقى إلى هنالك إلا بعد جهد ومشقة كما ذكر ذلك الإدريسي.[21] وهذا في شهر شوال سنة(514هـ/1130م)، ثم لحق به الصفوة المختارة من أصحابه يوم الجمعة منتصف شهر رمضان من السنة الموالية إلى مسجد تينملل، فصعد المنبر وخطب في الناس وأخبرهم أنه الإمام المهدي المنتظر، ويظهر أنه كمسلم ورع ذي غيرة على دينه، متذمر من شيوع المنكر والفساد كان عاجزا عن إصلاح ما أفسد إعتمادا على إمكانياته الخاصة، لهذا السبب إعتبر أن إدعاء المهدوية هي الوسيلة المثلى لتحقيق تلك الغاية، وهكذا تبنى فكرة المهدي المنتظر المكلف من طرف الخالق بترسيخ الإيمان ونشر العدل بين الناس، مع إعجاب كل من تعرف عليه وتسليمه بسعة معارفه خصوصا في العلوم الباطنية فضلا على أن السماء كانت تؤيده دون شك حسب إعتقادهم الساذج، حيث أصبح يعامل معاملة الأنبياء، ويذكر اسمه تبركا قبل المباشرة في تناول الطعام[22] وقد حث مريديه، على بيعته فبايعه الناس على النصرة، والمنعة، وسمى من أطاعه منهم جماعة أهل التوحيد _الموحدين_ ونظم أتباعه فسمى العشرة السباقين الأولين تيمنا بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته، وجعل أصحاب الخمسين للرأي والمشورة، ومن ذلك الوقت تبدأ صفحة جديدة في تاريخ الدولة الفتية التي قامت على فكرة الإمامة والتوحيد ورفع شعار "الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم " وهي الأسطورة التي اتشح بها ابن تومرت طيلة رئاسته لحركة الموحدين، وظل وفيا

---

[20] الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** ، تحقيق وتعليق محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.، ص، 13.

[21] مؤلف مجهول: **كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة و المدينة، و مصر، وبلاد المغرب**، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1985.، ص، 208.، وانظر:الإدريسي:**المقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق اسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1983.، ص، 133.، وانظر: عبد الله ابن إبراهيم التاسفتي: **رحلة الوافد**، تحقيق علي صدقي ءازايكو، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، 1992.، ص، 100.

[22] امبروسيوهويتي ميراندا: **المرجع السابق**.ص ص.61-62.

لزيه الذي تمثل في العباءة المرقعة، كما كانت له قدم راسخة في التقشف والعبادة حتى بقي طول حياته حصورا لا يتزوج النساء. ويذكر بعض المؤرخين أنه أول من وضع نظاما عسكريا لأتباعه فرتبهم صفوفا وكراديس وجعل لكل عشرة منهم نقيبا ، وقد اتخذ لجشيه منذ البداية علما أبيض كتب على احد وجهيه "الواحد الله ,محمد رسول الله، المهدي خليفة الله "وكتب على الوجه الآخر :"**وما من إلـه إلا الله، وما توفيقي إلا بالله، وأفوض أمري إلى الله**"[23].

لقد حرص ابن تومرت على ضرب الدراهم الفضية باسمه تعبيرا عن كيانه السياسي الجديد، بالرغم من أن المصادر التاريخية الموحدية سكتت ولم تذكر تاريخ ظهور هذه العملة ولا بداية ضربها إلا إشارات طفيفة وردت عند إبن خلدون مفادها بأنه "...لما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل[24] والظاهر أن هذه النقود لم تساهم على معرفة ما أشرنا إليه ذلك لأنها مضروبة بدون تاريخ الأمر الذي يصعب من دراستها وتأريخها بدقة حتى مع وجود إسم الضارب أو مكان الضرب ولو في حالات نادرة على غرار القطع المضروبة بتلمسان وسبتة ومالقة (أنظر الصورة رقم:1،2،3)،التي تشير إلى امتداد نفوذ ابن تومرت والأقاليم الخاضعة له، وليس بإمكان الدارس إزاء هذه الملابسات إلا أن يرجح فقط تاريخ بداية السك في بعض دور السكة الموحدية إستنادا الى تاريخ سيطرة الموحدين على المدينة التي أنشئت فيها هذه الدار أو تلك، ومع هذا فقد نسب المؤرخون بعض الدراهم الموحدية الى فترة سبقت سقوط دولة المرابطين وأرجعوها الى تاريخ تقريبي حوالي سنة (540هـ/1146م)، ولم يظهر على هذه النقود غير صيغة المهدي مثل "مهدي الدين الذي بشر به" أو"المهدي إمامنا" ولعل هذه الدراهم هي أول النقود الفضية التي ضربها الموحدون[25].و التي نسبت إلى ابن تومرت عن طريق الخطأ، والجدير قوله أن جميع النقود التي سكت في الغرب الإسلامي لاسيما في هذه المرحلة المهمة من التاريخ كانت عبارة عن حديدة ينقش عليها صورا وكلمات مقلوبة يضرب بها على الدراهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة على الوجهين مسيارة لتعبير عبد الرحمان بن خلدون.[26] ونصوص كتابة تلك الدراهم التي نسبت إلى ابن تومرت جاءت على النحو التالي:

---

[23] محمد عبد الله عنان:**عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، القسم الثاني،عصر الموحدين وإنهيار الأندلس الكبرى**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بالقاهرة، مصر، 1964.، ص ص، 630-632.، وانظر: عبد الحق المريني: **الجيش المغربي عبر العصور**، ط5، دار المعرفة للنشر و التوزيع، الرباط، 1997.، ص ص، 33-41.، وانظر: أحمد عزاوي: **رسائل موحدية...المرجع السابق**، ص، 44.

[24] هنري بيريس:**المنتخب من المقدمة وكتاب العبر لإبن خلدون**، المطبعة الرسمية، الجزائر، 1961.، ص، 40.

[25] طاهر راغب حسين:**تاريخ نقود دول المغرب من 441الى 982هـ، دراسة في التاريخ والحضارة**، كلية دار العلوم، القاهرة، مصر، 1994، ص، 132.

[26] الدراهم: وحدة من وحدات السكة الفضية أخذت إسمها من اللاتينية DRAXMA وتعرف في الفارسية بإسم"درم"، أنظر: حسني محمد نويصر: **الآثار الإسلامية**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،1998.ص،209.

الوجه:

المركز:

الله ربنا

محمد رسو لنا

المهدي إمامنا

الظهر:

المركز:

لا إله إلا الله

الأمر كله لله

لا قوة إلا بالله

من خلال ما سبق ذكره يتضح دون مشقة أن هذه الدراهم خالية من ذكر مكان الضرب إلا في حالات محدودة فضلا عن غياب تاريخ الضرب من جميعها الأمر الذي يصعب دراستها ويجعلنا نرجح بأنها ضربت حوالي سنة (515هـ/1131م)، بعد مبايعة ابن تومرت بالإمامة بجبل إيجليز اعتبارا بأن السكة هي إحدى شارات السلطان الثلاثة كما ذكره ابن خلدون وأغلب الظن أن المقربين من المهدي ظلوا يضربون هذا النوع من الدراهم باسمه بعد وفاته عن خمسين سنة (524هـ/1140م)، ذلك أن هؤلاء كتموا أمر موته ثلاث سنين يموهون بمرضه ويقيمون سنته في الصلاة وفي الحزب الراتب ويدخل أصحابه إلى البيت كأنه اختصهم دون سواهم، وبعد نعيه ودفنه بمسجده الملاصق لداره في تينملل، تحول ضريحه ولسنوات طويلة إلى مزار، وحملت مغارة إيجليز التي كان يدرس بها اسم "الغار المقدس"، وأصبح ترابها دواء يشفي الأجسام المريضة بمجرد وضعها عليه[27].وبقي الحال على هذه الشاكلة حتى بويع عبد المؤمن بن علي سراج الموحدين خليفة له. إذا بعد كل هذا هل ضرب ابن

---

[27] الزركشي:**المصدر السابق**.ص.15.,أنظر: أبي مدين شعيب: **أنس الوحيد و نزهة المريد**، تقديم و تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص،7.، وانظر: صالح يوسف بن قربة: **المسكوكات المغربية على عهد الموحدين و الحفصيين و المرينيين خلال القرون السادس و السابع و الثامن للهجرة الثاني عشر و الثالث عشر و الرابع عشر للميلاد دراسة حضارية**، ج1، دار الساحل، الرغاية، الجزائر، 2011.، ص، ص، 122-125.، وانظر: محمد حجي: **موسوعة أعلام المغرب**، ج 10، دار الغرب الإسلامي، 1980.، ص، 3575.،
وانظر:أمبروسيو هويتي ميراندا,**المرجع السابق** .ص.61.، وانظر:صالح بن قربة:**عبد المؤمن بن علي موحد المغرب**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985.، ص،32.، وانظر:
Yamilé Bouabba :Les Almohades, S.N.E.D. ,Alger, 1971.,p,22.

تومرت نقودا تحمل اسمه أم أن هذه النقود الأولى من ضرب غيره، اكتفى فيها بذكر صيغة المهدي فحسب؟ إن العيينات الموجودة في المتاحف الجزائرية، و المذكورة في المصادر التاريخية حتى التي كتبها أنصار الدعوة والدولة لا يظهر عليها ما يشير إلى محمد ابن تومرت صراحة، ضربها أو أمر بضربها، وكل ما جاءت به المصادر ما هو إلا ومضات شحيحة يشوبها الغموض، تذكر بأن المهدي هو صاحب الدرهم المربع، في صورة النبؤة لا في صورة إيراد الخبر والوصف، وكما سكتت المصادر عن الإشارة إلى ضرب المهدي الفضة سكتت أيضا الإشارة إلى ضربه الذهب، أما سبب اتخاذ ابن تومرت الدرهم المربع ولماذا حرص على ذلك، فيعود طبعا إلى رغبته في أن يكون له نقد مميز. ونستطيع أن ننبه هنا أن الدراهم الفضية على أنواع منها نصف الدرهم وربعه وثمنه، ولا يوجد الدرهم الكامل، وقد كانت في معظمها تزن1.5 غ، وتتجلى أهمية الفضة الموحدية في كونها أول نقد يضربه الموحدون، ومن شكلها المتميز المربع ومن كونها فرضت نفسها على المغرب وبعض مناطق الأندلس، فاستمر ضربها مربعة الشكل في عدة دول كان لها اتصال بالموحدين أو تبيعة لهم مثل دراهم طائفة الموحدين بالأندلس على عهد موسى ابن محفوظ النصري (631 - 660هـ /1234- 1262م) التي جاءت على النحو التالي:

الوجه :

المركز:

الله ربنا

محمد رسولنا

العباس إمامنا

الظهر:

المركز:

أمير الغرب

المستعين بالله

موسى بن محمد

بن نصر بن محفوظ

وعند تحليل مضمون تلك الدراهم التي نسبت إلى ابن تومرت يتضح أنها استخدمت كوسيلة من وسائل الدعاية، والإعلان عن المهدوية وبشرت بها لدى الرعية، فضلا على أنها استخدمت لنشر الأفكار، والمبادئ الدينية والأخلاقية التي جاء بها ابن تومرت ودعا اليها. ومن حيث الخط يلاحظ أن

نصوص كتابات هذه الدراهم أستخدم في تنفيذها جميعا خط الثلث المغربي، وهو نفس الخط الذي استخدم على دنانير خلفاء ابن تومرت لا حقا. وقد رعى الفتاح المكلف بالنقش على السكة مستوى التسطيح في نصوص القطع النقدية أثناء عملية الطرق، كما حافظ على الترويس والتقوير في كتابة بعض الحروف كالألف والياء والحاء والراء واللام ،إضافة إلى الطمس الموجود في حرفي الميم والواو.

وفي آخر المطاف تحولت أمور الحكم على يد عبد المؤمن بن علي إلى ملك دنيوي باذخ، وتلاشت فكرة الإمامة المهدوية رويدا رويدا بعد ذلك حتى تولى الحكم الخليفة أبو العلى المأمون ابن الخليفة المنصور الموحدي الذي أصدر الظهير الشهير سنة (627هـ/ 1229م)، المتضمن إزالة اسم المهدي من الخطبة، و محوه من السكة بصفة نهائية، وبهذا العمل الجريء يكون هذا الأخير قد أتى بضربة قاضية على أسطورة المهدي ابن تومرت.

خاتمة:

على ضوء ما سبق يتبين لنا بجلاء أن محمد ابن تومرت أحدث تغييرات عديدة في الغرب الإسلامي، شملت الجوانب العقدية والسياسية، و العسكرية، كما يعتقد أنه سك عملة فضية جديدة مركنة _ مربعة الشكل_نقشت عليها ألقاب وشعارات الموحدين من أجل الدعاية والإعلان عن قيام دولة فتية، علاوة عن تقويضه- بن تومرت- لأركان الدولة المرابطية، و القضاء المبرم على أصحابها، ونشر الفكر، و الفلسفة الموحدية المستمدة من المدرسة الأشعرية التي متح منها عندما كان طالبا في بغداد، فضلا عن انتهاجه سياسية المكر والخداع، و استعمال السيف ضد خصومه حتى آخر رمق في حياته، وبذلك يكون بن تومرت أول من ادعى بأنه المهدي المنتظر في الغرب الإسلامي.

الصورة رقم (01): درهم مربع نادر نسب الى ابن تومرت ، من ضرب مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط.

الصورة رقم(02): درهم مربع نادر نسب الى ابن تومرت، من ضرب مدينة سبتة بالمغرب الأقصى.

الصورة رقم(03): درهم مربع نادر نسب الى ابن تومرت ، من ضرب مدينة مالقة بالأندلس.